

التجمّع التاسع للتوعية الأرثوذكسية

أحد الأرثوذكسية

٢٠ شباط/٤ آذار ٢٠١٢

نور الأرثوذكسية وظلمة المسكونية¹

كليمندوس، أسقف غارديكيون

أمين سر المجمع المقدس

أصحاب النيافة القديسين؛

قدس الآباء والأمهات؛

إخوتي وأخواتي الأحباء في المسيح؛

I

"ليس هناك من شركة بين النور والظلمة"

ببركة متروبوليتنا وأبينا المريض كبريانوس، وبطلب من المجمع المقدس المستديم، أدخل بخوف

ورع إلى نور الأرثوذكسية الآبائية في يوم إنتصارها الباهر على الهرطقات. إن نور الأرثوذكسية هو

¹ محاضرة في ذكرى إحتفال المجمع المقدس في المقاومة بأحد الأرثوذكسية، ٢٠١٢، وذلك في دير القديسة باراسكيفي للراهبات في أكارناي (من ضواحي أثينا - المترجم)، أتیکا (اليونان). يُنشر النص هنا بأكمله، مع ملاحظات.

ليس إلا نور المسيح الذي، كما نحتف في القديس الإلهي للقديسات السابق تقديسها، هو "ينير الجميع". في ترانيم النور (فوطاغوجيكا)، نحن نطلب الإستنارة الإلهية من مصدر النور: "بما أنك النور أيها المسيح أنرني بك، بشفاعات والدة الإله وخلصني."²

"الله هو نور وهو ليس فيه ظلمة البتة."³ هذا هو النور الإلهي الحقيقي الغير المخلوق، النور المبهج، النعمة والحق، الذي أتى من المسيح وأظهر ذاته فيه، لكي يلبسنا حلة عدم الفساد. هو نور التجلي والقيامة والعنصرة، نور الحياة الإسكاتولوجي الذي لا يعروه مساء. الشركة مع النور الإلهي تفترض أن تكون أعيننا منفتحة للإيمان والفضيلة. يجب على نفس الإنسان ألا تكون منقسمة بين الحق والخطأ، بين الفضيلة والخطيئة.

على المستوى الأخلاقي، لا يمكننا في نفس الوقت أن نقوم بأعمال نور وأعمال ظلمة، ولا يمكننا أن نعبد "سيدان."⁴ من الناحية الأخرى، على مستوى الإيمان، لا يمكننا أن نصبح "غير متكافئين"⁵ أي أن نقيم روابط ودية مع الهراطقة، على المستوى الكنسي طبعاً وليس الإجتماعي. الحوار بحسن النية ليس ممنوعاً، ولكن لثرفض الحيرة والإختلاط.

"أي شركة للنور مع الظلمة؟"⁶ يسأل القديس بولس الرسول. فيجيبه بحزم ثيودوروس الستوديطي، القديس المعترف بنور الحق: "ليس هناك من شركة بين النور والظلام!"⁷ إنها الأرثوذكسية المقدسة حيث يستقر نور الله "العجيب"⁸ ويتدفق وينتشر، وأولئك الذين هم معتمدين فعلاً

² كتاب السواعي الكبير، خدمة السحر، فوطاغوجيكا للحن الثامن.

³ ١ القديس يوحنا ١: ٥.

⁴ القديس متى ٦: ٢٤.

⁵ ٢ كورنثوس ٦: ١٤.

⁶ ٢ كورنثوس ٦: ١٤.

⁷ "الرسائل" ب.ك. ١٩٧،٢ موسوعة الآباء اليونانيين، المجلد، العامود ١٥٩٧ب.

⁸ ١ القديس بطرس ٢: ٩.

ومستنيرين على الطريقة الأرثوذكسية يصبحون "نور العالم"⁹ و"أبناء النور"¹⁰ ويسلكون في الحق والمحبة ك"أولاد النور".¹¹ وحين أولئك بذاتهم يزلّون، أو عندما يدعون الآخرين إلى "ميراث قديسي النور"¹² هم يدركون أنه ليس هناك من سبيل [إلى الأمام] غير التوبة. "فالتوبة" حسب قول القديس سمعان لاهوتي النور الإلهي الحديث "هي باب يرشد المرء خارج الظلمة إلى النور. لذلك كل من لا يدخل إلى النور هو لم يعبر باب التوبة كما ينبغي؛ لأنه لو عبره، لكان أتى إلى النور."¹³

إن خدام المسيح الأمناء والعقلاء يبقون على شعلة نعمة المسيح مضاءة في نفوسهم بالمحبة والشكر، وينتظرون ختن الكنيسة بيقظة وإنتباه. هذه النار الإلهية الغير-هيولية تنير النفوس، لكنها أيضاً تمتحنهم. هي فعلاً "قوة القيامة عامل فعّال للخلود"، كما يقول القديس مكاريوس الكبير،¹⁴ لكنها أيضاً "طرد للشياطين وسحق للخطيئة." هي تجتذب أولئك المستنيرين أرثوذكسياً وتُدفعهم وتُقويهم، بينما هي ترفض أولئك الممسوكين دون توبة في "ظلمة"¹⁵ الخطيئة، والخطأ والمهرطقة، وتجلب عليهم العار وتَصْرِفهم.

في ليلة الفصح المقدس وفي كنائسنا المعتمدة وقاراً، قبل قليل من إعلان هتاف القيامة "المسيح قام، حقاً قام"، يخرج الكاهن المقيم الخدمة من الهيكل بمشعله المضاء ليوزع النور الإلهي مرتلاً بهيبة وفرح: "هلموا خذوا نوراً من النور الذي لا يعروه مساء ومجدوا المسيح الناهض من بين الأموات!"

⁹ القديس متى ١٤:٥.

¹⁰ القديس لوقا ١٦:٨؛ القديس يوحنا ١٢:٣٦.

¹¹ أفسس ٨:٥، ١ تسالونيكي ٥:٥.

¹² كولوسي ١:١٢.

¹³ العظة ٢٨، ٧٧، في: سمعان اللاهوتي الحديث، العظات ٢٣ - ٣٤ (باريس، منشورات سيرف، ١٩٦٥).

¹⁴ المقالة الروحية، ١٠٧، موسوعة الأباء اليونانيين، المجلد ٣٤، العامود ٦٧٣.

¹⁵ نيكتاس ستثانوس، في ما يختص بالأسقفية السماوية و الكنسية، ٣٠٧، في ميستيكا سينغراماتا (الكتابات السرية) [باليونانية]، تحرير بانايوتيس خريستو (تسالونيكي)، ص. ٧٥.

عندها يعمّ على كل كيان عابدي قيامة المسيح المجيدة فرح وشعور لا يوصفان. وكما نعرف جميعنا، كل سنة المنتصر على الموت وساحق الجحيم، ربنا وإلهنا، يصنع الأعجوبة الأكثر إشعاعاً وهي فيض النور المقدس قرابة الظهر في يوم السبت العظيم في كنيسة القيامة في مدينة أورشليم المقدسة. جميع الذين حضروا هذا الطقس المقدس يعرفون من خبرتهم الذروة التي لا توصف لتوقعهم الورع، كما أيضاً تحقيق هذا السر الإلهي الذي يُبهر ويحوّل بطريقة عجائبية المشترك به. هذا الحدث هو دائماً ما شكّل ليس فقط إنتصار قيامة الرب، بل أيضاً فخر المستقيمي الرأي وعظمة إيماننا بوجه الملحدّين وأتباع الديانات الأخرى والهراطقة. الرب يعطي النور المقدس للأرثوذكسيين لأنهم هم فقط يتمسكون ويعاينون، ليتورجياً وروحياً، النور المقدس، وليس للمؤمنين السيئين الذين حرّفوا حقيقة الإيمان الموحى به والمعطى لنا من السماء، والذين هم عالقون في مسارات قائمة لا تؤدي إلى أي مكان.

مع ذلك، يبدو أن اللاتين الهراطقة لم يأخذوا هذا الأمر بعين الاعتبار، بالرغم من أنهم قد تعلموا من حوادث سابقة ألاّ يجربوا الرب! نحن نصلي بإخلاص لكي يتعلّم مسكونيو أيامنا هذا الأمر ويفهموه، وذلك لكي يخرجوا من خبلهم ويرجعوا بالتوبة إلى نور الحق الإلهي، لكي حقاً نحتفل بإنتصاراً جديداً للأرثوذكسية.

II

لم يظهر النور المقدس حين كان اللاتين يسيطرون على القبر المقدس

نجد أنفسنا في حزيران ١٠٩٩، حين وصل آلاف من صليبي البابا أثناء حملتهم الصليبية الأولى إلى خارج أسوار أورشليم، وذلك لتحرير - كما زعموا - الأماكن المقدسة من الكفرة المسلمين. بعد حصار استمر أربعين يوماً، دخلوا المدينة المقدسة في ١٥ تموز وأشبعوا رغباتهم بذبح

وحشي للمسلمين. أما اليهود، فحرقوهم أحياءً في كنيستهم.¹⁶ بعد ثلاثة أيام من سفك دماء مروع وصلت فيها عمق الدماء إلى لجام أحصنتهم، تذكّر الصليبيون أن يذهبوا إلى كنيسة القيامة - آه يا لها مفارقة مأساوية - ليشكروا رب المحبة والإحسان على نجاحهم. كبيرٌ جداً كان جهل وهكذا كان عمى أولئك الرجال الذين، بالرغم من أنهم حملوا على أجسادهم علامة الصليب، هم أخضعوا الجميع لإرهاب السيف السفاح. ولكن بالحقيقة، هم كانوا "أعداء الصليب"،¹⁷ خداماً جلفين ووثنيين لرجل هرطوقي هو بابا روما المتغطرس، الذي انحرف عن الأرثوذكسية والذي أراد أن يجعل عرشه "أعلى من الكواكب".¹⁸

في الجوهر، هؤلاء الغزاة القساة الجدد لم يأتوا لتحرير الأماكن المقدسة ويُفوضوها لعبادة الله الأصيلة والغير مقيدة؛ هم اجتاحوا أورشليم ليفرضوا هرطقتهم المكروهة من الله على الأرض المقدسة. وهكذا، بالرغم من أن بطريك أورشليم القانوني سمعان الثاني المنفي إلى قبرص¹⁹ كان لا يزال على قيد الحياة، إلا أنهم لجأوا بطريقة غير قانونية وغير شرعية بالكلية لإنتخاب وتنصيب بطريك مزور

¹⁶ خريستوموس بابادوبولوس، رئيس أساقفة أثينا و سائر اليونان، تاريخ كنيسة أورشليم [باليونانية] (تسالونيكى: إكدوسيس ب. بورنارا، ٢٠١٠) ص. ٤١٥-٤١٦. أنظر أيضاً المحاضرة المطولة و التحليلية الموثقة بالكامل في دراسة رائعة لخاريس ك. سكارلاكيدس، النور المقدس: أعجوبة السبت العظيم في قبر المسيح: إثنين و أربعين شهادة تاريخية [من القرن ٩-١٦] [باليونانية] (ن.ب.: منشورات "إيلايا"، ٢٠١٠) ص. ١٠٧-١١٠.

¹⁷ فيليبي ١٨:٣

¹⁸ القديس نيقوديموس الأنوسي، خدمة أبينا القديس مرقس إفيغنيكوس رئيس أساقفة أفسس [باليونانية]، الإستيشارة الثالثة من الإينوس (تسالونيكى: منشورات "أرثوذكوس كيسيلىه"، ٢٠١٠) ص. ٣٤.

¹⁹ يشدّد العديد من المؤرخين الغربيين دون أي براهين أن البطريرك سمعان الثاني رقد عام ١٠٩٩، قبل سيطرة الصليبيين على أورشليم بقليل (أنظر ستيفن رانسيمان، الإنشقاق الشرقي [أوكسفورد: منشورات كلاريندون] [بالإنكليزية]، ص. ٨٧)، وذلك لتبرير إنتخاب بطريك-مزيف لاتيني، ولكن هذا غير صحيح بالكلية (أنظر التفنيد الموثق جداً لبابادوبولوس، تاريخ كنيسة أورشليم [باليونانية]، ص. ٤١٧-٤١٨). في الحقيقة، رقد البطريرك سمعان عام ١١٠٦. العمل المذكور سابقاً للمؤرخ البيزنطي الشهير ستيفن رانسيمان، بالرغم من بضعة ملاحظات خاطئة و مدائح تختص ببطريركية أورشليم اللاتينية، هو سرد مثير للإهتمام عن العلاقات بين الشرق والغرب كما تطورت أثناء حقبة الصليبيين.

لاتيني على أورشليم، وهو أرنولف شوكيه، الأمر الذي حقيقةً تسبّب بصدمة (!)، وذلك لأن القائد الأعلى في الجيش الصليبي هذا لم يكن حتى شماس إبيدياكون، وهو عاش حياة ترف لدرجة أن الأغاني البذيئة كانت تُتلى عنه!

دفعت صرخة شعبية المسؤولين عن المملكة اللاتينية المؤسسة جديداً في ذلك الحين إلى إستبدال أرنولف بالمبعوث البابوي دامبيرت رئيس أساقفة بيزا، الذي كان قد وصل في كانون الأول ١٠٩٩. هذا وصل إلى الأرض المقدسة مع أسطول من مئة وعشرين مركباً، عابراً قبل ذلك الجزر الأيونية (وهي تابعة لليونان في غرب البلاد - المترجم) حيث ارتكب أعمال نهب بشعة. دامبيرت هذا، الذي في الحقيقة كان قد انتخب بالرشوة وحتى حصل على موافقة من بابا رومية،²⁰ فرض فوراً تدابير وقائية على حراس الأماكن المقدسة الأرثوذكسيين.²¹

وهكذا تمّ أنه في السبت العظيم من عام ١١٠٠ كان دامبيرت أول بطريك لاتيني على أورشليم يتّأس الاحتفال التقليدي للنور المقدس. لكن لأول مرة في التاريخ، لم يظهر النور المقدس، بالرغم من أن الاحتفال استمر لساعات عدة. عندها حثّ الكهنة اللاتين الصليبيين على التوبة والإعتراف بخطاياهم. وكما يشير أحد المؤرخين، لم يظهر النور المقدس إلا حتى حلول المساء. في السنة التالية، لم يظهر النور المقدس البتة طالما اللاتين كانوا موجودين.²²

لكن قبل أن نرى ماذا حصل عام ١١٠١، نود أن نشدد أن عدم ظهور النور المقدس يوم السبت العظيم من عام ١١٠٠ لم يكن سببه ببساطة العدم الإستحقاق الأخلاقي عند الصليبيين، أو على الأقل لم يكن هذا سببه الرئيسي والوحيد. فظهور النور المقدس، كما هي الحالة في كل سر

²⁰ بابادوبولوس، تاريخ كنيسة أورشليم، ص. ٤١٨.

²¹ ستيفين رانسيمين، الإنشقاق الشرقي، ص. ٨٧-٨٨.

²² سكارلاكيدس، النور المقدس، ص. ١١١-١١٢.

وطقس، لا يعتمد على النوعية الأخلاقية وعلى استحقاق أو عدم استحقاق المحتفل. يُحتفل بالسر بشكل متجرد بينما المحتفل الغير مستحق شخصياً يعاقب. إن عدم ظهور النور المقدس كان سببه الأول والرئيسي إرتداد البابويين عن الإيمان الأصيل. وحقيقة أن النور المقدس ظهر فقط في الليل، وبغياب أي دليل محدد عن إطار ليتورجي لظهوره، تدل على التنازل الإلهي للإله الثلاثي الشعاع تأكيداً على القيامة الفائقة-النور، وليس تأكيداً وموافقة على إيمان المحتلّين اللاتين. لم تُحل المشكلة باعتراف الصليبيين الخطأة بل بتوبة اللاتين الهراطقة، أو على أقل برحيلهم عن مكان حصول الأعجوبة.

إذاً، يوم السبت العظيم من عام ١١٠١ وكما يصفها لنا دون خطأ سبعة صحافيين غير أرثوذكسيين (أربعة فرنسيين، واحد ألماني، واحد إنكليزي، و واحد أرمني)،²³ ترأس مجدداً البطريرك اللاتيني دامبيرت مع جمهور لا يحصى على إحتفال ظهور وتوزيع النور المقدس في القبر الكلي القداسة. ولكن مرّت ساعة ظهوره وبركة السموات لم تنحدر. كرّر اللاتين صلواتهم على نحو مزدوج وحلّ المساء، وبالرغم من ذلك، عجز النور المقدس عن الظهور، وبالتالي انغمرت نفوسهم بظلمة اليأس. أقفل القبر الكلي القداسة، وفي اليوم التالي، الذي هو صباح الفصح، وبعد أن ذهب إلى القبر الكلي القداسة وتأكد من عدم ظهور النور المقدس، خاطب دامبيرت الناس الميأوسين بحضور مبعوث الكوريا الرومية موريس، كاردينال بورتو. حاول في خطابه بتعزية رعيته بالحجة البائخة ألاّ ييأسوا من عدم تحقّق الأعجوبة بل، بالعكس، أن يفرحوا: فالأعجوبة حصلت حين كانت المدينة المقدسة بأيدي الكفرة، بينما، عندما أصبحت الآن في أيدي المسيحيين، لم يكن من حاجة لها بعد

²³ لنقاش مطول عن الشهادات والصحافيين السبعة، أنظر سكارلاكيديس، النور المقدس، ص. ١١٢-١٥٠.

ذلك!²⁴ عندها، ترأس دامبيرت زياح اللاتين إلى مكان قبة الصخرة، على موقع هيكل سليمان السابق، والذي حوِّله الصليبيون إلى كنيسة مسيحية.

في ذلك الحين، وأمام الكوفوكليون المقفل للقبر الكلي القداسة والذي كان مفتاحه فقط حوزة دامبيرت، بدأ اليونان والسوريين الأرثوذكسيين بالزياح حولها بصلوات حارة ترافقها الصرخات والتنهدات. أثناء حصول ذلك، لاحظ أحد السوريين من خلال ثقب أن إحدى قناديل الزيت اشتعلت بأعجوبة داخل القبر الكلي القداسة، وعندها تحولت التنهدات إلى صرخات من الفرح والشكر. أسرعوا فوراً إلى إعلام البطريك اللاتيني ليأتي ويفتح القبر الكلي قدسه لتوزيع النور المقدس. ولكن أثناء ذلك، عاين جميع الحاضرين بعجب وذهول قناديل الزيت المعلقة خارج القبر تشتعل فجأة وبأعجوبة، الواحدة تلو الأخرى بتراتب! أشتعل ستة عشر قنديلاً، أو خمسين، حسب البعض، أو كلها، حسب آخرين.²⁵

هذا الحدث العجائبي ملاً الأرثوذكسيين بالفرح والحماس، واستجلب العار على المؤمنين المضللين الذين حضروا وحاولوا إظهار قناعتهم، بالرغم من أن سقوط مكانتهم وجرصة نظامهم الفاسد كان واضحاً وغير مشكوك بها عند الجميع.

لهذا السبب، بعد بضعة أشهر صرفت السلطات اللاتينية دامبيرت من منصبه وطرده وكأنه السبب المفترض لهذه المهزلة، وعيّنت مكانه إفريمبار. ولكن النقطة الأكثر أهمية كانت أن اللاتين جدياً أخذوا "العبرة من ما حصل بعين الاعتبار"²⁶، وجراء عدم قدرتهم تحمّل أي بهدلة شعبية

²⁴ المرجع السابق، ص. ١٢٩-١٣٠.

²⁵ المرجع السابق، ١٣١-١٣٢؛ بابادوبولوس، تاريخ كنيسة أورشليم، ص. ٤٢٦-٤٢٧؛ إيونا تسيكورا، النور المقدس في أورشليم

[باليونانية] (لاميا، ١٩٨٧)، ص. ٨٥-٨٦.

²⁶ سكارلاكيدس، النور المقدس، ص. ١٥٢. ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية [بالإنكليزية] (كامبريدج: منشورات جامعة

كامبريدج، ١٩٥٢)، المجلد ٢ ص. ٨٥.

جديدة، سلّموا مفاتيح القبر الكلي قدسه إلى اليونانيين الأرثوذكسيين، مقررين أن رئيس لافرا القديس سابا المتقدس يترأس طقس النور المقدس كل سنة. كان رئيس الدير هذا آنذاك **حامي عرش بطريك** أورشليم الأرثوذكسي القانوني المنفي.

III

التقليد المعادي-للبابوية في الأرض المقدسة

بعد ستة سنوات تقريباً، في عام ١١٠٧، أكد رئيس الدير الروسي دانيال الذي كان حاضراً في احتفال النور المقدس أنه عندما ظهر النور المقدس ببهاء، أضاء بأعجوبة قناديل اليونان والروسيين الأرثوذكس التي كانت موجودة على حجر القبر الكلي قدسه، ولكن ليس تلك التي للآتين والتي كانت معلّقة فوقه أو خارجه!²⁷

ولكن البابويين العاجزين على تحمّل انكفاء الله عنهم، بدل من أن "يرجعوا إلى أنفسهم"²⁸ ويتوبوا لكي لا يمشوا في "الظلمة" بل يحصلوا على "نور الحياة"²⁹، تصلّبت قلوبهم وغلبهم الجهل لدرجة أنهم من خلال فرمان بابوي أصدره البابا غريغوريوس التاسع عام ١٢٣٨، تنصّلوا من صحة أعجوبة النور المقدس ومنعوا رعاياهم منعاً باتاً من المشاركة في الإحتفال أو حضوره!³⁰

قبل ذلك بقليل، ذلك البابا ذاته ارتكب أمراً يساويه بغضاً وتجديفاً. فالإمبراطور فريديريك الثاني الذي كان قد قاد الحملة الصليبية الخامسة نجح من خلال معاهدة أتمّها عام ١٢٢٩ مع

²⁷ سكارلاكيدس، النور المقدس، ص. ١٥٥؛ بابادوبولوس، تاريخ كنيسة أورشليم، ص. ٤٢٨-٤٢٩.

²⁸ راجع القديس لوقا ١٥:١٧

²⁹ القديس يوحنا ٨:١٢

³⁰ سكارلاكيدس، النور المقدس، ص. ٢٠٣.

السلطان الكامل المصري بتحصيل السيادة على أورشليم، حيث نصّب نفسه ثم عاد إلى بلاده. ولكن البابا غريغوريوس التاسع الذي كان عدواً لفريديريك للموت، أغضبه هذا الأمر لدرجة أنه أطلق العنان عن الجزاء الفظيع ألا وهو الحُرْم على مدينة أورشليم المقدسة والقبر الكلي قدسه. "هكذا وصل التعجرف البابوي لدرجة وضع الحُرْم على القبر المقدس،"³¹ يشير أحد المؤرخين الكنسيين مندهلاً.

كما يمكن للمرء أن يتوقع، وُجد هناك في القرون التي تلت تقليد لامع معادي-للاتينية في الأرض المقدسة، وكل ذلك سببه أن عدوانية وجشع البابويين كانت دائماً مؤذية وسهل إثباتها. من هذا المنطلق، يجدر بنا أن نذكر خصيصاً إعراف البطريك المبجل غريغوريوس الأول، في الفترة التي تلت إتحاد ليون المزور عام ١٢٧٤. ففي عام ١٢٨١، أصدر بطريك المدينة المقدسة تفنيداً كتبه بإسمه اللاهوتي الأرثوذكسي اللامع جورج موشابار عنوانه "فصول تفنيدية ضد عقائد وكتابات بيكوس". وفيه تم دحض "الكتابات والعقائد الزائفة والفاصلة لهراطقة أيامنا [اللاتين وأصحاب الفكر اللاتيني]" "لكي لا تنخدع نفوس أولئك الأكثر بساطة من خلال عقائد وتعاليم معوجة، ولكي لا يتم إغراؤها إلى عدم التقوى."³² وبعد سنة واحدة فقط، عام ١٢٨٢، توفي الإمبراطور اللاتيني-الفكر ميخائيل بالايولوجوس الثامن وخُلع البطريك الهرطوقي يوحنا بيكوس وأدين الإتحاد المزور.

³¹ بابادوبولوس، تاريخ كنيسة أورشليم، ص. ٤٥٦.

³² المرجع السابق، ص. ٤٥٢-٤٥٣. لمع جورج موشابار، وهو عدو شرس لإتحاد الكنيسة، في النصف الثاني من القرن الحادي عشر. بالإضافة إلى تفنيد بيكوس المذكور في هذه المحاضرة، كتب "حوار مع دومينيكاني في ما يختص عن إنباق الروح القدس". نشر أندرونيكوس ديميتراكوبولوس مقتطف من التفنيد المذكور في أرثوذكسوس إيلاس (ليبيغ، تيبواس ميترير كيه فيتيج، ١٨٧٢)، ص. ٦٠-٦٢. أما الحوار، فلأسف لم يتم نشره - المترجم الأول.

الجدير بالذكر هنا أيضاً إنحلال بطريكية اللاتين في أورشليم والتي أسسها الصليبيون بموافقة بابوية طبعاً. فعندما استولى المسلمون مجدداً على الأماكن المقدسة، دخلوا عكراً في فلسطين في أيار عام ١٢٩١، والصليبيون القلة الذين بقوا هناك مع البطريك اللاتيني نيقولاوس انطلقوا في البحر على متن قارب ليخلصوا أنفسهم. ولكن انقلب القارب بسبب تهور ركابه العظماء وغرق البطريك اللاتيني سوياً مع من بقي منهم.³³

لقد بدأت الحملات الصليبية ربما لهدف نبيل، ولكن تم إنجازها بطريقة وحشية وهكذا أضحت نتائجها كارثة حقيقية للشرق وتبينت أنها كانت "أكثر ضرراً" على الكنيسة الأرثوذكسية وشعبها. فكما يشير البطريك المبجل دوسيثيوس الأورشليمي، "إن الحروب التي شنها الصليبيون دُعيت "مقدسة" كما هي الحال مع مرض البرص الذي دُعي "بالمريض المقدس".³⁴ فمن المؤكد أنه لو انتصر الصليبيون، لكانت الأرثوذكسية قد اختفت من مهد المسيحية.

أثناء تلك السنين المريرة، بقيت كنيسة أورشليم في طليعة النضال من أجل الأرثوذكسية. وهكذا انعقد مجمع عام ١٤٤٣ في أورشليم بحضور يواكيم بطريك المدينة المقدسة وفيلوثيوس بطريك الإسكندرية ودوروثيوس الثاني بطريك إنطاكيا. هذا المجمع أدان مجمع فيرارا-فلورنسا (١٤٣٨-١٤٣٩) التوحيدى الغدار والذي كما نعلم جيداً مثل فيه القديس مرقص إفيغنيكوس الأفسسي - "أطلس الأرثوذكسية" - الكراسي الشرقية الثلاثة المذكورة سابقاً. شجب مجمع أورشليم إجراءات مجمع فيرارا-فلورنسا ووصفها بـ"البعيضة" وذلك لأن قراراتها كانت منحازة للبابوية: أي، بزيادة عبارة "والإبن" لدستور الإيمان، بإستعمال الخبز الغير المخمر في سر

³³ المرجع السابق. ص. ٤٥٨

³⁴ دوسيثيوس، بطريك أورشليم، ذوذيكايبيلوس (بوخارست: ١٧١٥)، ص. ٧٨٨.

الإفخارستية، بالذكرانية الليتورجية للبابا، وبالإنتهاكات الأخرى للقوانين. كذلك، وقف مجمع أورشليم بوجه "المتروبوليات الحقيمة" و"الأسقفيات الكريهة" التي روج لها وفرضها بطريك القسطنطينية اللاتيني-الفكر متروفانوس الثاني وذلك بسبب الأخطاء والفساد والفضائح التي نشرها. والحكم على أولئك "المفسدين" تجلّى بتوقيفهم وإقصائهم عن القيام بأي مهمة كهنوتية ورتبة كنسية "إلى حين يتم التأكد من الإيمان الأصيل بشكل مشترك وفي كل مكان"؛ وفي حال رفضوا هذا الأمر، قرّر المجمع بعزلهم وفصلهم وإقصائهم عن الثالوث القدوس.³⁵

هناك عجيبة أخرى تُنصّل الهراطقة حدثت عام ١٥٧٩، وذلك حين قام الأرمن برشوة العثمانيين لكي يضمنوا أنهم هم الذين سيُخرجون النور المقدس. فكان الأرثوذكسيون المطرودون قد تجمعوا خارجاً في باحة كنيسة القيامة أمام الباب المقدس. وحتى عندما كان الأرمن يقومون بالزياح داخل الكنيسة ليحصلوا على مبتغاهم، كان الأرثوذكسيون مع بطريركهم في ذلك الوقت صوفرونوس الرابع، ويكون ويصلّون للتعزية من العلاء. في تلك اللحظة سُمع دوي عالٍ وحدثت هناك عاصفة رياح قوية وانشقّ العامود الوسطي لعضادة الباب المقدس الشمالية، ومنه بزغ النور المقدس للأرثوذكسيين، وهذه عجيبة يُشهد لها حتى يومنا هذا.³⁶

في هذه المعالجة المختصرة لإعتراف الإيمان، يكون إغفال منّا إذا لم نذكر البطريرك دوسيثيوس الأورشليمي (١٦٦٩-١٧٠٧) المبجل والبطل الذي، "بفضل نشاطه اللاهوتي وُصف بـالمعلم

³⁵ بابادوبولوس، تاريخ كنيسة أورشليم، ص. ٤٨٣-٤٨٥. نضيف هنا أن المجمع المذكور وصف البطريرك متروفانوس، باللعب على

الكلام، بـ "ميترفونوس" أي "قاتل-الأم" وذلك لأنه اعتلى عرش القسطنطينية بشكل غير قانوني! أنظر ملاتيوس، متروبوليت أثينا، التاريخ الكنسي، فيينا (جوزيف باومايستر: ١٧٤٨)، المجلد ٣، ص. ٣٠٠ - المترجم الأول.

³⁶ أندرياس بابامويسيس زاكوس، الدليل الكبير للأماكن المسيحية المقدسة في الأرض المقدسة [باليونانية]، (قبرص، أستروميريتس ١٩٧٠)، ص. ٢٨٣؛ الأرشمندريت بندلايمون د. بولوس، حج موقر إلى الأرض المقدسة وجبل سيناء، حيث مشى الله [باليونانية]، (أثينا، ٢٠٠٨) ص. ٣٤. تسيكورا، النور المقدس في أورشليم [باليونانية]، ص. ٨٦-٨٧.

والقائد الحكيم لجسم الأرثوذكسيين بأكمله، متخطياً جميع معاصريه بعمق معرفته وغيرته على الأرثوذكسية التي لا تعرف حدود، وإيمانه الحار بالله. هو إذاً جاز التعبير مسك في يديه نهج حياة الكنيسة الأرثوذكسية بأكملها، " وذلك لأنه، من جملة الأمور، حارب بلا كلل ضد التأثير اللاتيني والبروتستانتي وجاهد للحفاظ على نزاهة الأرثوذكسية.³⁷

على سبيل المثال، في عام ١٦٨٩، عندما جُبرت الإمبراطورية العثمانية لأسباب سياسية وبضغط من النمسا وفرنسا، بأن تتنازل عن عدد لا يستهان به من الأماكن المقدسة داخل كنيسة القيامة الكلية القداسة في أورشليم وأيضاً في بيت لحم لصالح اللاتين، قام أولئك الآخرون (أي اللاتين) وارتكبوا أعمال شغب وتدنيس للمقدسات واضطهدوا الأرثوذكسيين. تحديداً، وللتحويل على الأرثوذكسيين، قاموا بنشر إشاعة مفادها أن البطريرك دوسيثيوس الذي كان حينها في القسطنطينية قد تمّ شنقه. عندما سمع بكل هذه الأحداث المأساوية، أسرع دوسيثيوس الموقر لنكران تلك الإشاعة الخبيثة المختصة بشنقه المفترض، واستنكر بشدة نظرية اللاتين السخيفة أنهم حصلوا على الأماكن المقدسة نتيجة صواب إيمانهم. هنا أكد دوسيثيوس القديس المعترف أن اللاتين كانوا دوماً "شقاقيين وأول الهراطقة" وأعلن جهاراً وبلا خوف: "أما بالنسبة لللاتين، نحن نتمسك كما فعل أبائنا ونقول أنه في كل زمن وفي كل شخص وفي كل مكان هم هراطقة ومنبوذون من الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة. اللاتين هم مضطربون نفسياً حين يفترضون أنهم مستقيمي رأي نتيجة إستيلائهم على كَمِّ من الجدران".³⁸

تجدر الإشارة هنا أيضاً أن البطريرك بارثينيوس الأورشليمي شارك عام ١٧٥٥ في مجمع في القسطنطينية يضم بطارقة القسطنطينية والإسكندرية وأورشليم الأرثوذكسيين (بطريرك أنطاكية كان

³⁷ بابادوبولوس، تاريخ كنيسة أورشليم [باليونانية]، ص. ٥٩٨-٥٩٩.

³⁸ المرجع السابق، ص. ٦٢٨-٦٣٠.

غائباً في روسيا في مهمة لجمع الأموال)؛ هذا المجمع اتخذ قراراً أن اللاتين والهراطقة الآخرين يجب أن يُعتمدوا بأسلوب أرثوذكسي وقانوني [أي بالتغطية الكامل ثلاثة مرات - المترجم] عندما يأتون إلى الأرثوذكسية، وذلك كونهم يُعتبروا حسب الضبط العقائدي "غير مقدسين وغير معمّدين".³⁹

هذا البطريرك بارثينيوس ذاته أيضاً ساهم بالتصدي للوحدوية (اليونيا) التي كانت قد تمّ نشرها في سوريا [نتيجة شقاق الروم الملكيين الكاثوليك وانضمامهم لبابا روما عام ١٧٢٣ - المترجم] "مقدماً العون لبطريرك أنطاكية سيلفيستروس ومُديناً 'بطاركة' أنطاكية 'الدجالين' البابويين".⁴⁰

في حديثنا عن نور القيامة المقدس النابع من القبر الكلي القداسة وتفنيده البابويين، الذين في جنوبهم الهرطوقي وصلوا إلى نقطة لا تصدق من التجديف نكروا فيها هذه العجيبة بالذات، نصل بشكل مباشر إلى الصلة بين هذه المسألة وانحراف اللاتين عن تقويم الأعياد. إنسلاخهم عن الروح القدس المنير المحيي وعن جسد الكنيسة وأيضاً عن قبر الرب المحيي الكلي قدسه أدى بهم إلى أسلوب جديد لحساب تاريخ عيد الفصح، تحت فرضية تحقيق الدقة الفلكية، وذلك من خلال ابتكار إصلاح تقويمهم الشهير عام ١٥٨٢ أثناء عهد البابا غريغوريوس الثالث عشر. على هذا المنوال ومن تلقاء أنفسهم أصبحوا غرباء عن عيد الفصح بشكل واضح من ناحية تقويم الأعياد، وذلك أنهم لم يعد بإمكانهم الإحتفال سوياً مع الأرثوذكسيين في يوم عيد الفصح الفعلي. فهكذا هم نَقَوْا أنفسهم إلى "بلاد بعيدة" جالسين في ظلال الموت لا يسمحون لنور القيامة بالإقتراب منهم أو للمسيح

³⁹ لنص هذا القرار (أوروس)، أنظر ساكرورام كونسيلوروم نونفا إيه أمبليسيما كوليكسيو [باللاتينية]، المحرر. ج.ب. مارتن و ل. بيتيت، المجلد ٣٨ (باريس: إكسبينسيس هيوبيرتي ويلتير، ١٩٠٧)، الأعمدة ٦١٧ س - ٦٢١ أ. للترجمة الإنكليزية، أنظر أو من بعمودية واحدة... للمتقدم في الكهنة جورج ميتالينوس، ترجمة الكاهن - الراهب سيرافيم (الجيل المقدس، دير القديس بولس، ١٩٩٤)، ص. ١٣٦-١٣٣.

⁴⁰ بابادوبولوس، تاريخ كنيسة أورشليم [باليونانية]، ص. ٦٩٥.

القائم بأن يُشرق عليهم بشعاع مجده الإلهي،⁴¹ لكي يستفيقوا من نوم البدعة والإرتداد. ولكن التوبة والقيامة من بين الأموات هما مطلوبان لتحقيق فعل النهوض البطولي والخلاصي، لكي يكون هناك "فرح"⁴² في السماء وعلى الأرض. الإستمرار في الهرطقة هو خطيئة: "من هو غير تائب يخطئ، لأنه لا يتوب."⁴³

IV

الإرتداد عن الحقيقة يعني الإرتداد عن النعمة

إن النور المقدس الذي يظهر بأعجوبة في القبر الكلي القداسة ويُبهر قناديل الزيت والشموع، والذي يفيض في ذلك المكان المقدس في ظهر يوم السبت العظيم من كل سنة، من دون شك مصدره نعمة وقوة الله الغير مخلوقتين. ولكن، بما أنه ناتج من النعمة محسوس ومخلوق لا يمكننا أن ندعوه غير مخلوق، بالرغم من أنه يأتي مع ظاهرة روحية عجائبية (هو لا يحرق في الدقائق الأولى ولا يُشعل حريقاً ويسبب بتغيرات في نفوس البشر). فالنور الغير مخلوق ليس أمراً محسوساً أو محصوراً،

⁴¹ أنظر الرسالة إلى أفسس ٥:١٤

⁴² القديس لوقا ٥:٧,١٠

⁴³ القديس سمعان اللاهوتي الحديث، "العظة ٢٨" ٧، ص. ١٣٨.

لكنه ذهني وعديم الإدراك. هو لا بداية له، لا يتغير، ودون نهاية؛ هو ينير عقل الإنسان بقوة الروح القدس⁴⁴ وبالتالي هو يتسامى على الحواس والعقل. "هو لا هيولي ولا تدركه الحواس."⁴⁵

ولكن إذا لم يكن اللاتين سابقاً وهم ليسوا اليوم مستحقين أن يعاينوا أعجوبة النور المقدس المخلوق الفاضل من القبر الكلي القداسة، فهذا يعني أنهم يبقون بإرادتهم الشخصية دون الشركة مع نور النعمة الغير المخلوق. فتعليمهم السكولاستيكي الفلسفي لا يتوافق مع أي إقرار بأن القوات الإلهية للإله المثلث الأقانيم هي غير مخلوقة، وهم في الجوهر يرفضون إمكانية الشركة الملموسة مع الله.⁴⁶ لهذا السبب هم كوّنوا مفاهيم مختلفة عن مصير الإنسان النهائي ونعيمه وخلصه وتألهه. إذا الإنسان فعلياً لا يشترك مع نور الله الأزلي والخارج الزمن الذي أشرق يوم التجلي المقدس وأعطى في

⁴⁴ هيروثيوس، متروبوليت نافباكتوس و هاجيوس فلاسيوس، النور المقدس و أم الكنائس [باليونانية]، إكليسياسستيكي بارمفازي، عدد ٦٣ (نيسان ٢٠٠١). في ما يختص بالطبيعة الغير ملموسة للنور الغير مخلوق، أنظر ياكوفوس بوتاميانوس، نور في الكنيسة البيزنطية [باليونانية] (تسالونيكى، منشورات يونيفيرسيتي ستوديو، ٢٠٠٠) ص. ٦٢، ٧٠.

• وفقاً للاهوتي النور الغير-مخلوق العظيم، القديس غريغوريوس بالاماس، جميع هذه الأمور التي تحصل في العالم الوجودي هي ليست منتجات الطبيعة، و هي ليست نابعة من نقص ما، بل هي نتيجة تفوقها. هي جميعها روحية و لكن ليست غير-مخلوقة: "لذلك إن قيامة الرب هي روحية، كما يقول الأب الذهبي الفم و لكن القيامة هي ليست غير-مخلوقة، و لا حتى فعل القيامة ذاته، لأنها قيامة مخلوق ساقط، و هو كأننا نتكلم عن إعادة خلق أو إعادة تكوين. هكذا هي الخليقة الجديدة و الإنسان الجديد و القلب الجديد و النقي.... كل ما هو ينجزه الله بشكل لا يوصف هو روحي، و لكن ليس كل شيء [يأتي به] هو غير مخلوق. الأمور الروحية يُعبّر عنها بشكل "لموس" و هي خاضعة لقدرة الإدراك، التي هي غير قادرة على فهم ليس فقط الأمور التي تفوق العقل بل أيضاً الأمور التي تفوق الحواس، أي الحقائق الذهنية. "الأمور الغير مخلوقة تفوق العقل وهؤلاء المتحدون بهذه الأشياء هم متحدون بقوة أسمى تفوق طبيعة العقل، كما يقول الكبير ديونيسيوس."

(الحوار التفنيدي الخامس ضد أكيندينوس، الفصل ٢٣، ٨٧، ٨٨، ٨٩ في غريغوريوس تو بالاما أباننا تا إرغا، المجلد ٦، إيلينيس باتيريس تيس إكليسياس [باليونانية] (تسالونيكى، باتيريكى إكدوسيس "غريغوريوس أو بالاماس، ١٩٨٧) ص. ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٦. راجع أيضاً القديس ديونيسيوس الأريوباغي، في الأسماء الإلهية، الفصل ٧، ١، موسوعة الأباء اليونانيين، المجلد ٣، العامود ٨٦٥ س. - المترجم الأول.

⁴⁵ فلاديمير لوسكي، اللاهوت السري للكنيسة الشرقية، (كريستود، نيويورك، منشورات معهد القديس فلاديمير اللاهوت، ١٩٧٦، ص. ٢٢١.

⁴⁶ على سبيل المثال، أنظر الأرثمندرت جورج كابسانيس، التقليد الأرثوذكسي والبابوية [باليونانية]، أرثوذكس تيبوس، عدد ٣٣٢، ١٠ تشرين الثاني، ١٩٧٨.

يوم العنصرة على شكل ألسنة نارية، عندها يبقى دون الفداء وفي واقع مخلوق ومغلق وديوي؛ أو هو يعتقد مخطئاً بأنه سوف يعاين، ولو في المستقبل، جوهر الله المتعذر بلوغه والمستحيل الشركة معه! هذه الأخطاء والتعاليم الكاذبة تُعتبر تجاديف، والمهرطقات لها تأثير مباشر على الخلاص. إن الإرتداد عن إيمان الكنيسة الأصيل وتشويه الحقيقة الموحاة لنا تؤديان إلى الإرتداد عن الكنيسة وعن النعمة الإلهية المقدّسة.⁴⁷ لقد أصبحت البابوية جسداً ميتاً وأدرك الأنقياء القلوب من المستقيمي الرأي بخبرتهم أن في كنائسها "لم تنحدر نيران الروح القدس؛ بمعنى آخر، في الكنيسة اللاتينية لا يتحول الخبز إلى جسد المسيح ولا الخمر إلى دماء" المسيح.⁴⁸

في سياق عملي أكثر، دعونا نذكر مثلين معاصرين وذات صلة يظهران الموت الروحي عند اللاتين.

في بداية القرن العشرين، حدث أنه في إحدى أديرة اليونان الأرثوذكس في جزيرة من جزر الكيكلاديس كان المتربوليت الأرثوذكسي لتلك الجزيرة برفقة الأسقف الكاثوليكي لتلك المنطقة. بينما كانوا جالسين على شرفة الدير، شاهدوا أحد الإخوة يحمل كيساً من السماد على كتفيه إلى حديقة الدير. عندما أدرك الأسقف الكاثوليكي أن هذا الذي يحمل كيس السماد كان أحد كهنة الدير الرهبان، أعرب عن إشمئزاه وحيروته عن كيفية هذا الكاهن بعد عمله الوسخ هذا بأن يحتفل بالأسرار الإلهية. بالرغم من أن الأسقف الأرثوذكسي أكد له أن هذا العمل لم يسبب للكاهن أي تدنيس لنفسه أو جسده، أصر الأسقف اللاتيني على إعتراضاته. بعد ذلك، سأل الأسقف الأرثوذكسي نظيره اللاتيني إذا كان مستعداً على القيام بإمتحان لمعرفة أي من الرجلين كان مسرّاً لله

⁴⁷ أنظر تحليلاً عن معنى الإرتداد عن جسد الكنيسة في حالة المراهقة الغير مدانين [بالإنكليزية]. <http://hsir.org/p/th>.

⁴⁸ الأراء الأرثوذكسية لصاحب النيافة دانييل أسقف بودابست، أرثوذكس تراديشن [بالإنكليزية]، المجلد ١٥، العدد ٢-٣ (١٩٩٨)،

أكثر: الكاهن الأرثوذكسي الذي كان يقوم بأعمال شاقة ووسخة أو الأسقف البابوي صاحب الألبسة الفاخرة. وافق هذا الأخير على هذا، فاقترح الأسقف بأن يدعو الكاهن الرهباني ليحتفل بخدمة تقديس الماء الصغيرة، وذلك بعد أن يغتسل جيداً. ثم يليه الأسقف اللاتيني الذي أيضاً سيحتفل بخدمة تقديس الماء، وتُحفظ الماء التي باركها كل منهما في وعائين مغلقين. وبعد مرور سنة، سوف يتم فتحهما لمعرفة أي كمية من الماء منهما قد بُرِكت وبالتالي مرضية لله. وبالفعل، بعد أن أتمت صلوات التقديس على الماء المتتالية، وُضعت القارورتين المغلقتين جيداً في صندوق خاص. وبعد مرور سنة، وبحضور المتروبوليت الأرثوذكسي ورئيس الدير وأخوته وأيضاً الأسقف الكاثوليكي وحاشيته، تم الكشف عن القارورتين وفُتحتا، وعان الجميع بكل وضوح أن الماء التي باركها الكاهن الأرثوذكسي الرهباني كانت شفافة للغاية وعطرة، بينما تلك التي باركها الأسقف اللاتيني كانت عكرة وقائمة ورائحتها تشبه المياه الراكدة.⁴⁹

في حادثة أخرى، وفي جملة من الأمور، شرح كاهن إلى أحد الشبان الذين ذهبوا للسجود لرفات القديس جيراسيموس كيفالينيا والذي رأى عجائب باهرة تحصل على أيدي أناس ملتبسين من الشيطان كشفوا خطايا حجّاج آخرين، أن هؤلاء الملتبسين لا يمكنهم كشف أي خطيئة لشخص سبق وتاب عنها واعترف بها بصدق. في تلك الحالة، هم "يواجهون طريق مسدود". ولكن في إحدى الحالات، يتابع الكاهن، تعرّف هذا على شخصين كاثوليكين إيطاليين اعترفوا له أن أحد الملتبسين في زاكنثوس (وهي جزيرة في البحر الأيوني غرب اليونان قرب كيفالينيا - المترجم) كشف لهم كل ما اعترفوه من خطايا لكاهنهم الكاثوليكي. وحصل هذا الأمر لأنهم كانوا بالجواهر غير

⁴⁹ الأرشنديت جيرائيل ديونيسيأتيس، شهادة الجبل المقدس [باليونانية]، (تسالونيكى إكذوسيس "أرثوذكسوس كيسيلىه"، دون تاريخ)

معترفين. هذا الملتبس كان يوناني ولا يتكلم الإيطالية، لكنه كشف لهذين الإيطاليين بالإيطالية الممتازة خطايا كان من المفترض أنهم اعترفوا بها.⁵⁰

بتقديرنا، هذه الشهادات الصادقة تؤكد رأي الأرثوذكس العريق أن اللاتين قد سقطوا من نعمة الله وهم ليسوا كنيسة الله ولا يشكّلونها.

على سبيل المثال، في القرن الثاني عشر حين سأل مرقس بطريك الإسكندرية نظيره ثيودور بالسامون خبير القانون اللامع وبطريك أنطاكية آنذاك إذا كان ممكناً لكاهن أرثوذكسي "بأن يعطيهم الأسرار الإلهية دون خطر"، أي للهراطقة، أجابه بالسامون بالنفي. بخصوص اللاتين الذين كانوا سجناء للمسلمين الصراصنة والذين تقدّموا إلى الكنائس الأرثوذكسية طالبين المناولة، أكّد لهم بالسامون أن الكنيسة الغربية كانت في حالة إنشقاق لعدة سنوات من الشركة الروحية مع مجلس البطاركة الأرثوذكس الأربعة الآخرين. كانت روما "منفصلة من الكنيسة الجامعة في ما يختص بالتقاليد والعقائد ومبعدة عن الأرثوذكس" ولهذا السبب أزيل اسم البابا عن لائحة الديتيخا لدرجة أن "لا يمكن لجنس اللاتين بأن يتقدس على أيدي الكهنة من خلال الأسرار الطاهرة الإلهية، إلا إذا وافقوا سابقاً على التخلي عن المعتقدات والتقاليد اللاتينية، وتمّ تعليمهم حسب القوانين، وتمّ إستيعابهم ضمن المستقيمي الرأي".⁵¹

في بداية القرن العشرين، كتب المتقدم في الكهنة القديس يوحنا كرونشتادت ما يلي، معبراً عن تقييم الأرثوذكس الروحي للبابوية:

⁵⁰ أنظر المقال "القديس جيراسيموس و الملتبس من الشيطان" على موقع أرثوذكس كومبوس الإلكتروني (زيارة الموقع في ٥ نيسان ٢٠٠٨). يوجد هذا النص في أماكن أخرى على الإنترنت.

⁵¹ أسئلة قانونية من مرقس بطريك الإسكندرية وأجوبة عليها من بطريك أنطاكية ثيودور بالسامون، العدد ١٤-١٥، موسوعة الأباء اليونانيين، المجلد ١٣٨، الأعمدة ٩٦٥-٩٦٨ ب.

إن شركة الكنيسة الغربية مع الكنيسة السماوية هي هزيلة وفاترة وتخلو من الحياة. الكنيسة الأرثوذكسية تختلف إلى حد كبير: فهناك الشركة حيّة وواسعة الأفق وكاملة وأصيلة وموقرة. هناك، البابا هو كل شيء، الجميع يكرمونه ولا يكرمون القديسين. قديسو الشرق والغرب حُقِّضت قيمتهم؛ هم مخفيون وسقطوا في غب النسيان؛ رفاتهم لا توضع أبداً أمام المؤمنين بل غالباً أمام السّواح... هناك، البابا يحدد مصير الكنيسة الأرضية والسماوية ويوزع عشوائياً "فائض" أعمال ونعم القديسين، مرسلاً الناس إلى المطهر ومن ثم يجرهم من هناك بقراره الشخصي، ويصدر صكوك الغفران. بقدر ما هي مضحكة هذه الأمور، تكون فعلاً مضحكة لو لم تكن مؤذية ومحزنة. وكيف الباباوات أنفسهم والكاردينالات والآخريين لا يدركون هذا؟!... إيمان الكاثوليك هو سطحي. هناك كل شيء للبيع وكل شيء يمكن شراؤه؛ هناك، البابا يمتلك كل السلطة وخلص الكاثوليك هو بين يديه. لهذا السبب اليوم الكاثوليك ليس لديهم قديسون أصيلون يمكن تمييزهم؛ هم فقط لديهم قديسين "مُختَرَعين"، أولئك الذين جعلهم تعسّف البابا قديسين، بينما الكنيسة الأرثوذكسية هي مثل جنة عدن، مليئة بالقديسين.⁵²

يجزم رجل كهنوت محترم آخر، وهو بروفيسور في اللاهوت العقائدي الأرثوذكسي، بأن "الكثلكة لم تحفظ كاملاً لا على الرسولية ولا الحياة في المسيح والقداسة... اللاهوت الكاثوليكي يعتبر النعمة مخلوقة وبالتالي هي ليست قوة نابعة من المسيح" وأن "في الكثلكة تُستلم قوة النعمة الإلهية فقط بنسبة ضئيلة."⁵³

في ضوء هذه الإعتبارات، يمكن للمرء أن يسأل ماذا الذي دفع المسكونيون الأرثوذكسيون إلى التواصل مع الهرطقة، ليس لإرشادها إلى التوبة وتغيير معتقدها، بل ليمنحوها تمييز ومزايا هي لا تملكها ولا تنتمي إليها وحتى لا يمكن أن تتخيلها أو تبتغيها! نحن نعلم أن المسكونيون لديهم جواباً

⁵² النعاليم الروحية و قانون الأبتها، (تسالونيكى إكدوسيس "أرثوذكسوس كيسيليه"، ٢٠٠٨) ص. ١٥٧-١٥٨.

⁵³ آراء شخصية للمتقدم في الكهنة ديميترو ستانيلو (١٩٩٣†) في الأب المتوحد إيوانيشي بالان، حوارات لاهوتية مع آباء رومانين،

(تسالونيكى إكدوسيس "أرثوذكسوس كيسيليه"، ١٩٨٦) ص. ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨.

جاهزاً: هم مدفوعون بداعي المحبة، من أجل وحدة المسيحيين. ولكن إذا كانت المحبة منفصلة عن الحقيقة، وسوف نُظهر في ما يلي أن هذا ما يحصل وما هو سائد منذ البداية في المسكونية المعاصرة، عندها نكون في مواجهة مع خطأ وتشويش قد انتشرا إلى نسبة خطيرة بين القادة وقطيع المؤمنين الفاترين الذين إلى حد كبيرهم هم غير مبالين ويشكلون الأغلبية الساحقة من فئة ما يسمى مسيحيون اليوم. لهذا السبب لم يعد للرعاة الكاذبة أي موانع؛ فهم ليسوا خائفون كما كانوا ذات مرة⁵⁴ بأن الخراف الحقيقية حراس الأرثوذكسية سوف ينتفضون ضدهم!

V

فورة في النشاطات المسكونية

لقد تمّ التكلم بوضوح في الدوائر الفكرية الأرثوذكسية، وبالأخص منذ بدء القرن (العشرين) الماضي، عن آراء غير أرثوذكسية تختص بمحدود كنيسة المسيح. ربما حصل ذلك بداعي التنوع المختص بإستقبال المهرطقة الذي تقوم به الكنائس الأرثوذكسية المحلية التي مارست الإيكونومية (أي تساهل) في بعض الحالات المعينة، الأمر الذي دفع الكثير من الأرثوذكس باللجوء إلى الفكرة الخاطئة التي تقول أنه بالرغم من أن الزنادقة قد اعتبرتهم المجمع المقدسة (المسكونية أو الشاملة للأرثوذكسيين)

⁵⁴ إن الحادثة التاريخية التالية هي معبّرة للغاية: عندما أراد المجمع برئاسة البطريرك جرمانوس القسطنطيني الثاني (١٢٢٢-١٢٤٠) بأن يظهر مسابراً بالوقت الحاضر ويسمح للأساقفة والكهنة في قبرص، الذين كانوا تحت وطأة الطغيان اللاتيني الشرس، بأن يخضعوا بداعي "الإيكونومية (أي تساهل - المترجم)" إلى شروط وضعها البابويون، مستسلمين لمطالب اللاتين بالخضوع لكي يقوموا بخدمة المؤمنين ولتحاشي المآسي الآتية، أثاروا بذلك ضجة كبيرة: "بمجرد أن أدركوا أن هكذا قرار قد اتخذ، أسرع جمهير غاضبة من الكهنة والرهبان والمؤمنين إلى الغرفة الذي كان مجتمعاً فيها المجمع. وبعد أن أعلنوا لأعضاء المجمع بأنهم يعتبرون هذا الخضوع بمثابة نكران واضح لإيمان الأجداد، طلبوا من البطريرك بأن يغير القرار الجمعي، وهذا بالفعل ما حصل." الأرشمندريت إيرونيموس إ. كوتسونيس، الشركة المختلطة مع الزنادقة من المنظار القانوني [باليونانية]، (أثينا: إكدوسيس "إيه داماسكوس"، ١٩٥٧) ص. ٧٥.

هراطقة في ما يختص بالإيمان والتقليد الرسولين، غير أنه بما أنهم يحافظون بوضوح على "التسلسل الرسولي"، أي الإستمرارية الغير منقطعة في ما يختص برسامتهم الأسقفية، بالتالي هم يملكون أسرار شرعية وأصيلة. من ضمن المسكونيون الأرثوذكسيون هناك من يحصر وجود الأسرار فقط لدى الرومان الكاثوليك (اللاتين)، وهناك آخرون يضمون كل جماعة مزندقة حافظت أو شكّلت لنفسها أسقفية، وأخيراً هناك من يعطي الشرعية لكل تجمّع مسيحي، حتى لأولئك الذين يؤمنون بطريقة شخصية بحت. المجموعة الأولى، على الأقل جزءاً منها، تعتقد أنه لم يأتي الأوان بعد للشركة مع اللاتين، ولكن فقط لأسباب إنضباطية؛ المجموعة الثانية هي جاهزة للشركة مع أي مجموعة لا تزال لها أسقفية وهم ببساطة ينتظرون الموافقة الكنسية على ذلك؛ والمجموعة الأخيرة نفذ صبرها من الشركة مع جميع المسيحيين!⁵⁵

إن الفكرة المسكونية التي تقول أن الكنسية والأسرار توجد لدى الجماعات المزندقة من كل نوع (تلك القديمة والأكثر حداثةً) هي تركز على منشور "إلى كنائس المسيح في كل مكان" المرطوقي والذي صدر عن كنيسة القسطنطينية عام ١٩٢٠. كما هو معروف جيداً، هذا المنشور

⁵⁵ أنظر النقاش الذي كتبه منذ خمسين عاماً اللاهوتي الصربي، الأب دانيلو كريستيك، الذي أصبح لاحقاً أسقف بودابست (٢٠٠٢م)، "النور الإلهي و المجرى البشري" في الخادم الأمين، ص. ٨. في هذا النص الملفت، يذكر الكاتب أيضاً الأرثوذكسيين "التقليديين بصرامة" الذين يساؤون حدود الكنيسة بالحدود الكاريزمية التي للإفخارستي الإلهي. ليس هناك من إفخارستي إلهي خارج الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة. فالتقليديون يمارسون طريقتين لإستقبال الهراطقة في كنفهم. الطريقة الأكثر صرامة تتبع القديس كبريانوس القرطاجي و تقوم على تعميم المتحولين عن إيمانهم (من يتبع هذه الطريقة هم اليونانيون بالدرجة الأولى، بما فيهم أولئك الذين في الجبل المقدس. أما الآخرين فيقتنعون فقط بمسحهم بالميرون المقدس، حاسبين بذلك أن معموديتهم التي حصلت خارج الكنيسة تصبح شرعية و فعالة (هذا يقوم به السلافيون بالدرجة الأولى).

- لنظرة تاريخية على الفرق في الممارسة في التعامل مع إستقبال الهراطقة عند بطريركية القسطنطينية و كنيسة روسيا، أنظر كوتسونيس، إي كانونيكي أبوبسيس بيرى تيس ذياكونونياس ميتا تون إيتيروذوكسون [باليونانية]، ص. ١٢١-١٢٢.
- لتصريحات و نشاطات الزعماء من المسكونيين الأرثوذكسيين الذين وضعوا الأسس للمزيد من التطوير في "لاهوتيات" المسكونيون الهراطقة ك "لاهوت المعمودية" و "لاهوت الكنيسة الواسعة الواسعة"، أنظر المسكونية كهراطقة إكليريولوجية [بالإنكليزية] هنا: hsir.org/p/rd

شكّل الحافظ الرئيسي والقوة الدافعة لتأسيس المسكونية عن طريق مجلس الكنائس العالمي ولمشاركة الأرثوذكس بشكل عام في الأوجه والمظاهر المختلفة للمسكونية.

سوف نذكر هنا على سبيل المثال اللقاء بين أثيناغوراس بطريرك القسطنطينية - هذه السنة تكون الذكرى الأربعون على رقاذه [٧ تموز ١٩٧٢ (تقويم جديد)] - والبابا بولس السادس في أورشليم عام ١٩٦٤. ذلك اللقاء في المدينة المقدسة حيث - كما استنتجنا من كل ما ورد - أعرب الله عن نفوره تجاه اللاتين الهرطقة، تسبب في بداية سلسلة محزنة من الأحداث أولها رفع الأناثيمات ١٩٦٥ عام وأخذ الخطوات الأولى نحو منحدر المسكونية الزلق، وبالأخص العلاقات مع اللاتين.

بدورها أطلقت روما من خلال المجمع الفاتيكاني الثاني "هجوم المحبة"، أي مسكونية مرتكزة على روما، هدفها تحقيق إتحاد جديد مع الأرثوذكس على نمط إتحاد الروم الكاثوليك. فالبابويون قرروا على اللقاء في أورشليم عام ١٩٦٤ بعد الطلبات والمحاولات الملحة لبطريرك الملكيين الكاثوليك ماكسيموس الرابع.⁵⁶ قبل اللقاء مع البطريرك أثيناغوراس، كان البابا بولس السادس قد اجتمع مع البطارقة والأساقفة الكاثوليك (الموحدين) من الكنائس الشرقية (المتحدة مع روما) وألقى أمامهم خطاب أساسي داعياً إياهم أن يبقوا أمناء على تقاليدهم العريقة والتبسيكا الليتورجية التي تخصهم التي من خلالها كنيسة المسيح بأكملها أصبحت مشعة.⁵⁷ "تحت هكذا ظروف دشّن الفاتيكان حوار المحبة في أورشليم!"⁵⁸ جرى اللقاء مع بطريرك القسطنطينية في إطار مسكوني وُضعت فيه الأسس والقواعد التي أتت فيما بعد. في كلام له في بيت لحم بعد يومين من لقائه مع أثيناغوراس، دعى البابا بولس السادس "الإخوة المنفصلين"، أي الأرثوذكس، بالعودة إلى القطيع الكاثوليكي،

⁵⁶ الأرشمندريت سبيريدون بيلاليس، الأرثوذكسية والبابوية [باليونانية] (أثينا: إكذوسيس "أورثوذكسو تيبو"، ١٩٦٩)، المجلد ٢، ص. ٣٤٣.

⁵⁷ المرجع السابق، ص. ٣٤٤.

⁵⁸ المرجع السابق

وكان صادقاً في موقفه.⁵⁹ قدّم البابا نفسه وكأنه مالك ومفسّر لإرث المسيح، مشدداً على أن رئاسته وعصمته تفوق كل إتحاد.⁶⁰

بالرغم من هذا، هؤلاء ذوي الميول المسكونية يصفون هذا اللقاء بالحدث "التاريخي"،⁶¹ بينما العديد من الأرثوذكس "الرسميين" انتفضوا في ذلك الوقت وعبروا بقوة عن معارضتهم له. على سبيل المثال، هناك "إعلان" من آباء ورؤساء الأديرة آثوسيين من تلك الحقبة يستنكر الدعم-للوحدة، يعلن عن التزامه بالتقليد، ويرفض أي إتحاد ذي صبغة مسكونية. إضافةً، يدعو جميع الهرطقة الذي يرغبون ذلك إلى التوبة والعودة إلى الأرثوذكسية، ويتضمن تهديد واضح: "نناشد بطيركنا المسكوني بأن يتخلى عن سعيه وراء نشاطاته الداعمة للوحدة لأنه إذا استمر بها سوف نتصلّ منه أيضاً."⁶²

لعبت الحساسيات الأرثوذكسية دورها لبعض الوقت، وكما نعلم، كان هناك حتى أساقفة، إضافةً إلى رؤساء الأديرة والرهبان، أوقفوا الذكر الليتورجي للبطريك لفترة معينة من الزمن، فقط ليعودوا إلى "الطاعة" لأنهم اعتقدوا لشدة غرابة الأمر أنه بعد أثيناغوراس هناك رياح جديدة من الأرثوذكسية تهب في القسطنطينية وفي الكنائس المحلية عامةً، بالرغم من أن بدعة المسكونية كانت قد ازدادت في جرأتها!

⁵⁹ المرجع السابق، ص. ٣٤٥.

⁶⁰ المرجع السابق، ص. ٣٤٦.

⁶¹ أنظر مقالة "أثيناغوراس الأول، البطريك المسكوني" في موسوعة مسيحية أرثوذكسية كبرى [باليونانية] (أثينا: ستراتيجيكس إكذوسيس،

[٢٠١٠]) المجلد ١، ص. ٣٨٨.

⁶² الأرشمندريت جبرائيل، *Αγιορειτική Μαρτυρία*، ص. ١٦١.

فضّل البطريرك أثيناغوراس "عملة المحبة"، بالرغم من ردّات الفعل، وليس عملة الحقيقة وأعلن أن غاية الحوارات والعلاقات مع الزنادقة، وخاصة الروميين الكاثوليك منهم، هي "لتحضير شعبونا سيكولوجياً ليدركوا أنه هناك كنيسة واحدة وديانة واحدة".⁶³

ليس مفاجأة أنه في العام ١٩٩٣ انتهى بنا الأمر في البلمند، لبنان، برعاية البطريرك برثولماوس، ذلك الخادم الوفي لأثيناغوراس، الذي أعلن رسمياً في سياق الحوار الأرثوذكسي-الكاثوليكي أن الكنيستين يُعترف بهما أنهما "كنائس شقيقة" بكل ما في الكلمة من معنى؛ بالأحرى كان الأمر متوقفاً. البابويون والأرثوذكسيون المسكونيون يعترفون أن "المجاهرة بالإيمان الرسولي والمشاركة في ذات الأسرار وفوق كل شي الكهنوت الواحد... والتسلسل الرسولي للأساقفة - لا يمكن أن يُعتبروا الملكية الحصرية لواحدة من كنائسنا. في هذا السياق، يبدو واضحاً أن كل أشكال إعادة المعمودية قد أقيمت".⁶⁴

كذلك الأمر، صدرت في سياق مجلس الكنائس العالمي إدانة لـ "أعمال إقتناص المسيحيين من التقاليد المسيحية الأخرى"،⁶⁵ بينما بطريركية القسطنطينية وقّعت في الفنار في أيلول ٢٠٠٤

⁶³ "البطريرك أثيناغوراس القسطنطيني (١٨٨٦-١٩٧٢): تصريحاته، رسائله، ونشاطاته،" [بالإنكليزية] أرثوذكس تراديشن، المجلد ١٨، عدد ١ (٢٠٠١)، ص. ١٠.

⁶⁴ "إعلان البلمند، الفقرة ١٣"، *Eastern Churches Journal*, Vol. 1, No.1, (Winter 1993-1994), p.19.

تم تصحيح الكلمات في الجملة الأخيرة وفقاً للنص الفرنسي الأصلي لإعلان البلمند. أنظر النص على الرابط التالي:

http://www.prounione.urbe.it/dia-int/o-rc/doc/i_o-rc_07_balamand_fr.html

⁶⁵ مثلاً، "ضمن الحركة المسكونية ومجلس الكنائس العالمي، الإهتمام بالشهادة المشتركة ووحدة الكنائس دائماً ما كان أولوية، واعتُبر الإقتناص بمثابة فضيحة وشهادة مضادة."؛ "إحدى الصفات التي تميز بوضوح الإقتناص من الشهادة المسيحية الأصيلة هي تقدمه كنيسة الشخص أو اعترافه وكأنها "الكنيسة الحقيقية" وتعاليمها أنها "الإيمان الصحيح" والطريق الوحيد للخلاص، رافضين المعمودية في الكنائس الأخرى كونها باطلة وإقناع الناس أن يعتمدوا مجدداً؛" "الإقتناص هو تشويه للشهادة المسيحية الحقيقية وبالتالي هو شهادة مضادة. هي لا تبني بل تدمر. هي تجلب التشنجات والفضائح والإنقسام وبالتالي هي عامل عدم إستقرار لشهادة كنيسة المسيح في العالم. هي دائماً جارحة لمفهوم الشركة، إذ لا تخلق الصحة بل أطراف متنازعة" ("نحو شهادة مشتركة: دعوة لتبني علاقات مسؤولة في العمل الرعائي ولرفض الإقتناص".

<https://www.oikoumene.org/en/resources/documents/commissions/mission-and-evangelism/towards-common-witness>

سويًا مع الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا، رفضاً لـ "إعادة المعمودية" وذلك لأن المعمودية الكنيستين هما متساويتين ومُعترف بهما.⁶⁶

جميع الإجراءات في المسكونية المعاصرة، والتي سنذكر البعض منها، تظهر أنه، بالجوهري، التمييز بين الأرثوذكسية والمهرطقة والحدود بين الحقيقة والكذب، بين النور والظلمة، قد تُحيت. هدفها الحقيقي هو ليس تحقيق الوحدة، ولا حتى الإهتمام المفترض لمن هم في الخطأ إلى الأرثوذكسية، كما يدعي أحياناً البطريرك برثولماوس بمراية أمام جماهير "متحفظة"، وذلك لأن المسكونيون يعتقدون أن الوحدة بينهم هي موجودة بالفعل، وان "الأفراء الذين يتحاورون هم كنائس شقيقة وهو يعبرون عن هذه الوحدة بينهم من خلال عروضات مسكونية مختلفة الأوجه.⁶⁷

في كانون الثاني الفات (٢٠١٢)، حصلت هناك فورة في النشاطات المسكونية، تحديداً في سياق أسبوع الصلاة لوحدة المسيحيين.

انعقد احتفال مسكوني للترحيب بالسنة الجديدة في كنيسة كاثوليكية في كولوغن Cologne، ألمانيا، وطبعاً مع مشاركة الأرثوذكسيين المسكونيين. وكان شعارها: "سويًا. نشهد للمسيح TOGETHER. Witnessing to Christ".⁶⁸

⁶⁶ بالرغم من أن الشركة الكنسية لحد الآن لا توجد بين كنائسنا [الأرثوذكسية والبروتستانتية]، كل منا يعتبر أعضاء الأخرى بمثابة معتمدين، وفي حال تم تغيير المعتقد، نرفض القيام بإعادة المعمودية. يجي المشاركون في الحوار مساعي الكنائس في ألمانيا (أربيتسغيمائشافت كريستليكر كيرشين) لوصولهم إلى إتفاق حول الإعتراف المتبادل بالمعمودية (إعلان مشترك، الفنار، ٢٠٠٤) في "المشاركة في مجلس الكنائس العالمي" بمثابة هرطقة إكليريولوجية: 'وحدة لا منظورة' و'لاهوت المعمودية'.

https://www.hsir.org/Theology_en/E3a2026PSE-Airesis.pdf

⁶⁷ الأرثوذكسية كبريانوس والأب المتوحد كليمس هاجوكبريانيتيه، "الحركة المسكونية والمكافحة الأرثوذكسية للمسكونية: مواجهة القرن الحاسمة" [باليونانية] (المجلد السابع من سلسلة *Συμβολή στην Αντι-οικουμενιστική Θεολογία*؛ أثينا، إكذوسيس هييرا سينودو تون إنيستامينون، ٢٠٠١)، ص. ٥٣.

⁶⁸ أنظر العروض لهذا الحدث المسكوني وغيره من عروضات المذكورة بعد ذلك، سويًا مع مواد صوتية-مرئية، وفقاً لتاريخ وضعها على هذا

في دوبروفنيك، كرواتيا، اشترك غريغوريج أسقف هيرزيغوفينا (بطيركية صربيا)، وهو الإبن الروحي للأسقف أتاناسيجي (جيفتيك)، في احتفال مسكوني يوم ١٧ كانون الثاني في كنيسة كاثوليكية، سويماً مع الأسقف الكاثوليكي المحلي وكهننته، ومن مجمل الأمور طلب الغفران على أهوال الحرب الأخيرة.

في سيروس (وهي جزيرة في أرخبيل جزر الكيكلاديس في اليونان) ألقى الأسقف الكاثوليكي فرانسيسكوس بابامانوليس خطاباً في الكاتدرائية المتروبولية موجهاً لدوروثيوس، الأسقف المحلي لكنيسة اليونان ذات التقويم الجديد بمناسبة الذكرى العاشرة لأسقفيته الواقع تاريخها ١٩ كانون الثاني، مشدداً من مجمل الأمور على ما يلي:

لقد رحّب بك سكان سيروس متّحدين، دون أي خطوط فاصلة بينهم، متّحدين بمحبة المسيح، متّحدين بالفرح لأن أجراس كنائسنا، الأرثوذكسية والكاثوليكية، قد قرعت إلى السماوات بنعمة مشتركة، معلنة وصولك...أخينا الحبيب،...يمكننا العمل سويماً أو بالأحرى يمكننا أن نزيد تعاوننا بالتوافق والمحبة والسلام مع الإحترام المتبادل، ليس فقط لأشخاصنا، بل أيضاً لكنائسنا، وذلك كمقياسنا المعتمد. نحن نتحمل المسؤولية لوضع كنائسنا الحالي ولستقبلها. ويمكننا المساهمة بالوصول الأسرع لذلك اليوم المبارك عندما نشترك بكأس مشتركة.

في تسالونيكية يوم السبت ٢١ كانون الثاني، انعقدت صلاة مسكونية في كنيسة حبل والدة الإله بلا دنس الكاثوليكية. وشارك في هذا الحدث الكاثوليك والأرثوذكس والأرمن والأنجليكان والإنجيليين. المتحدث الرئيسي كان بروفيسور معاون في العهد الجديد من المدرسة اللاهوتية في جامعة تسالونيكية، خارا الامبوس أتمازديس، الذي صرّح بالكلمات الموحية التالية عن هذا اللقاء على محطة تلفزيونية:

هناك عادة يلتزم بها كل سنة تقريباً جميع المسيحيين وجميع الجماعات المسيحية في تسالونيكى. جميع المسيحيين الذين لديهم دستور إيمان مشترك في المسيح يسوع، أي نحن الأرثوذكس والروميين الكاثوليك والأرمن والإنجيليين نجتمع معاً لنصلي معاً ونرفع الإبتهالات لله.... إن هدف هذه الصلوات المشتركة هو لكي نتذكر جذورنا وسلالتنا الدينية المشتركة، التي كانت توحدنا جميعاً منذ زمن بعيد جداً من الماضي، بالرغم من أن لفترة من الزمن هي فرقتنا لأسباب برأينا لا مبرر لها. ولكن هذا المشروع يرتكز وهو مؤسس على الإرادة المشتركة لقادة الكنيسة الأرثوذكسية، تحديداً بطيريكيتنا المسكونية، لبابا روما، وايضاً للكنائس الإنجيلية الإبيسكوبالية وللأرمن، وهو مجهود مشترك لإيجاد نقاط مشتركة للإتصال والتواصل.

من ١٩ إلى ٢٥ كانون الثاني، حصلت إحتفالات وصلوات ونشاطات مشتركة مسكونية في روما (بقيادة البابا)، في بودابست، في بروكسل، في الأرض المقدسة، في موسكو ونوفوسيبيرسك، في بوخارست ومدن أخرى في رومانيا، وفي عدة أماكن أخرى من العالم، وذلك في جو وروح الإنصهار والنسبوية.

في تريير Trier، ألمانيا، استهل "منتدى مسكوني دولي" أعماله يوم ٣٠ كانون الثاني بالصلوات المشتركة والخطابات عن "ثوب المسيح الغير منشق." وكان ممثلون عن كل من الكاثوليك والإنجيليين ومجلس الكنائس العالمي ومتروبولية ألمانيا (البطيركية المسكونية) والميثوديين، والذين معهم، من بين أولئك المشاركين في هذا المنتدى الذي في سياقه، وهو أمر مثير جداً للإهتمام، "كان المشاركون يخطون رمزياً ثوب المسيح!"

وبينما نحن في موضوع الجنون المسكوني، يجدر بنا أن نشدد على "التقليد" الجديد التي تقوم بتأسيسه بطيركية القسطنطينية. فهي اليوم، وفي البلدان الأجنبية التي قد لا تتوفر فيها كاتدرائية كبيرة تابعة لنطاقها الكنسي الخاص، تقوم بخدم إعتلاء العرش لمتروبوليتها الجدد في كنائس

كاثوليكية. هذا الأمر حصل مؤخراً في كلٍ من حفل إعتلاء العرش في بودابست للمعتمد الجديد في هنغاريا وأوروبا الوسطى، المتروبوليت أرسانيوس، وحفل اعتلاء العرش في سنغابورة لقسطنطين متروبوليت سنغابورة، والذي حضره أساقفة من كنيسة اليونان ذات التقويم الجديد.

يجب أيضاً أن نشير إلى البُعد المسكوني للرعاية الخيرية التي تقوم بها جمعية أبوستوليه Apostole التابعة لأبرشية أثينا ذات التقويم الجديد. أبوستوليه مؤخراً بدأت بالتعاون رسمياً، لكي تنجح في إنجاز أهدافها، مع الأنغليكانيين والكاثوليكين، وتحديداً مع منظماتهم الشقيقة كاريتاس.

VI

مسؤولية الأرثوذكسيين

في وجه هذا الواقع العصيب والمحبط الذي يتجلى للعيان في سياق "الإرتداد" الإسكاتولوجي⁶⁹ بهدف التمهيد لديانة عالمية ومجيء رجل الخطيئة، أي ضد المسيح، لحلول المحنة الأخيرة على البشرية، لا يمكننا ألا أن نعبر عن أسفنا وحزننا، ليس كثيراً على الكارثة الاقتصادية الفظيعة والإنحطاط الإجتماعي لوطننا - وهو أيضاً أمر مقلق للغاية - لكن على حال سقوط الكنائس الأرثوذكسية والعبودية المستمرة للنفوس، على حساب أولئك الذين يناصرون بدعة المسكونية، كما نصّ القديس باسيليوس الكبير حول أحداث حصلت في حقبتة: "لأننا نحزن ليس

⁶⁹ ٢ تسالونيكي ٢:٣

على هدم أبنية أرضية لكن على سقوط كنائس؛ ما نعاينه هو ليس عبودية للجسد، لكن عبودية للنفوس يتسبب بها يوماً أبطال البدعة.⁷⁰

برأينا، همنا الأول اليوم هو الحفاظ بكل الأثمان على هويتنا الأرثوذكسية التي يُعتدى عليها بقوة في وسط زوبعة الحيرة المحيطة بنا وأن نضاعف، توافقاً مع ذلك، مستوى المعرفة في كل الأمور لدى أكبر عدد ممكن من إخوتنا وأخواتنا، وذلك لكي يتصرفوا بطريقة صحيحة ومسرة لله.

لأولئك المتورطون بالشركة المدانة مع إخوتنا المسكونيين هناك دائماً إمكانية التخلص من هذا "النير" بواسطة الإعراف الأرثوذكسي والإنعزال والإنخراط في عالم الحقيقة مبتعدين كل البعد عن ظلمة وكذبة الضلال. ولكن نرى القليل منهم ينجذبون إلى نور الحقيقة؛ قليلون يمشون في الحق، بعيداً عن شر الخطيئة والإرتداد. فيبدو أن تشكيلة من التقييمات الخاطئة والإلتزامات المضللة تظلم نفوسهم وتدفع التويخات النافعة بعيداً عن ضمائرهم. وليس هذا فقط لكنهم أيضاً يجمعون أعذاراً داهية للبقاء في خطاياهم وذلك لكي يرضوا ضمائرهم ويهددون أنفسهم إلى الشركة على الطراز اليوناني (التوحيدي) مع المسكونيين. الكلمات القاسية لربنا يوسع المسيح تليق بأولئك الذين في يومنا هذا يدافعون عن الإبتكار ويهينون الحقيقة والمعتقد القويم: "الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابَةُ وَالْفَرِيْسِيُّونَ الْمَرَاوُونَ، فَإِنَّكُمْ تُقْفَلُونَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ فِي وُجُوهِ النَّاسِ، فَلَا أَنْتُمْ تَدْخُلُونَ، وَلَا الَّذِينَ يُرِيدُونَ الدُّخُولَ تَدْعُوهُمْ يَدْخُلُونَ."⁷¹

على سبيل المثال، القديس باسيليوس الكبير كان يؤمن تماماً مثل جميع الأباء القديسين أن مسألة الشركة (المناولة) مع الهرطقة لها أهمية خلاصية مباشرة، ولهذا السبب هو صليّ لآلاً يسقط

⁷⁰ "Epistle LXX," Patrologia Graeca, Vol. XXXII, COL. 436b.

⁷¹ القديس متى ٢٣:١٤

من الشركة مع ذلك الجزء من الكنيسة الذي يلتزم بأسس "العقيدة السليمة والغير مشوّهة"،⁷² وذلك لأن الشركة في الأرثوذكسية تضع المرء في "مجموعة" الأبرار؛ والعكس بالعكس، الشركة مع أولئك الذين يشوّهون معتقد الإيمان الأرثوذكسي إما بالكامل أو بالتجزأ تضع أولئك المتناولون خارج شركة الكنيسة.⁷³ لهذا السبب، القديس باسيليوس الكبير، حتى عندما كان شماساً، عزل نفسه عام ٣٦١ م من ديانوس أسقف قيصرية الذي كان قد رسمه للشموسية، لأن هذا الأخير، ونتيجة ضعف شخصيته، وقّع على إقرار الإيمان الغير أرثوذكسي الذي أصدره مجمع القسطنطينية الشبه-آريوسي (٣٦٠م).⁷⁴

الأمر المأمول هو أن هناك قلة من خدام الله المختارين والبالغو الدقة، متجاهلين التهديدات الخبيثة والتهميش و"ضمانات" هذا العالم الباطلة، ينجذبون إلى نور الحق إذ يعزلون أنفسهم، وفقاً لمثال الآباء وتبعاً لأوامر المجامع والقوانين، عن ما يسمى بالكنايس الرسمية وهكذا يتجنبون الشركة مع بدعة المسكونية.

البعض، مثل أجدادنا الروحانيين في الإيمان، قاموا بهذا الأمر منذ زمن بعيد جداً رداً على فرض المسكونيين لابتكار التقويم (١٩٢٤-). آخرون مثل أسلافنا الروحانيين في الرب قاموا بهذا الأمر لاحقاً نتيجة مغامرات وتجاوزات المسكونيين المتهورة على نحو متزايد. آخرون يقومون بذلك اليوم، بينما عدد غير قليل منهم يتخاذلون عن مسار العمل الخلاصي هذا، إذ يبقون في الشركة المدانة مع المسكونيين. بأي حال، هذا الإرتفاع المفاجئ في مكافحة المسكونية الذي يقلق أسياد المسكونية

⁷² "Epistle CCLI," §4, *Patrologia Graeca*, Vol. XXXII, COL. 940a

⁷³ أنظر المقال بعنوان: "St. Basil and Resistance: Communion with Heretical Bishops is inadmissible," hsir.org/p/2a

⁷⁴ المرجع السابق (أنظر (St. Basil, "Epistle LI," *Patrologia Graeca*. Vol XXXII, cols. 388c-392a.

الهرطقة ورفاقهم والمدافعون عنهم على مختلف انتماءاتهم يشكّل حقيقة مريجة وهو أمر يؤكد أن الجهادات وحتى المحن على مر العقود التي ولّت لم تذهب سدى.

ليقوّي رب الكنيسة تلك الوفرة التي تعترف بالإيمان وذلك لكي تنتصر الحقيقة الإلهية.

لُنحصى مع المؤمنين وخدام الله الحكماء في ملكوت نور المحبة الإلهية، ليس لشيء آخر سوى لثباتنا الصبور ونوايانا الصالحة لخير الكنيسة. ولتكن الرؤية العظمى للملكوت الإلهي الذي يصفها لنا الإنجيلي القديس يوحنا اللاهوتي تعزية لنا حين نقوم بأي توضيحات في سبيل الإيمان والفضيلة: "وَلَا يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاجٍ أَوْ نُورِ شَمْسٍ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَهُ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الْآبَدِينَ."⁷⁵

